

التنشئة الأسرية للابن الأكبر في المجتمع الجزائري مقارنة بين الماضي والحاضر

أ.خير سعدية*

الإرسال:	2018/07/03	القبول:	2019/02/15	النشر:	2019/06/30
----------	------------	---------	------------	--------	------------

الملخص باللغة العربية:

تعتبر مسألة التنشئة الأسرية للابن الأكبر في العائلة من الظواهر الاجتماعية التربوية التي احتلت مكانة لا يستهان بها في الدراسات السوسيولوجية والأنثروبولوجية، سواء الكولونيالية منها، أو ما بعد الكولونيالية، نظرا للأهمية التي كان يوليها المجتمع الجزائري والثقافة المكونة للمخيال الاجتماعي به لكيفية تربية الأسرة البطركية للابن الأكبر، الذي يجهز منذ البداية لتولي مسؤوليات لا يمكن أن تمنح لغيره لأي سبب من الأسباب، إلا في حالة وفاته.

ونظرا لمكانة الابن الأكبر هذه، كان من المهم والضروري أن تختلف تنشئته عن باقي إخوته الأصغر سنا منه، وهو ما نلاحظه جليا من خلال العديد من الدراسات المتخصصة، وفي مقدمتها البحث الشهير لجيرمين تيليون حول "مكانة الأخ الأكبر في المجتمعات المتوسطية". لكن المجتمع الجزائري في مقابل هذا عرف العديد من التحولات حاليا، والتي مست بنية الأسر ووظائفها، والعديد من الخصائص المرتبطة ارتباطا مباشرا بها. والسؤال المطروح هنا: كيف تقوم الأسر الجزائرية اليوم بتنشئة أبنائها الأكبر سنا؟ وهل لا يزال الابن الأكبر يمتلك نفس المكانة التي كان يحتلها في السابق والمرتبطة بوظائف ومسؤوليات محددة في ظل التغيرات السوسيولوجية التي يعرفها المجتمع في الواقع الراهن؟

* - قسم علم الاجتماع، جامعة مصطفى اسطمبولي- معسكر- الجزائر. مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية، البريد الإلكتروني: [saadia.kheiter@univ-mascara.dz].

انطلاقا من هنا، تسعى هذه الورقة لتسليط الضوء على مسألة التنشئة الأسرية للابن الأكبر في المجتمع الجزائري، من خلال دراسة مقارنة بين المعطيات السوسيو- أنثروبولوجية المتوفرة في الأدبيات التي تناولت الظاهرة في الماضي من ناحية، والمعطيات الراهنة في المجتمع المعاصر من ناحية أخرى، والتي تم الاعتماد في تحصيلها على دراسة ميدانية بمدينتي معسكر ووهران.

الكلمات المفتاحية: التنشئة الاجتماعية، التغير الاجتماعي، الابن الأكبر، العائلة الممتدة، الأسرة النووية.

ملخص باللغة الإنجليزية:

Abstract: This paper seeks to highlight the issue of family upbringing of the largest members of Algerian society, through to make a comparative study between the socio-anthropological data available in the literature that dealt with the phenomenon in the past, on the one hand, and the current data in contemporary society on the other hand, which was relied upon in a field study in the cities of Mascara and Oran.

Keywords: socialization, social change, eldest son, extended family, nuclear family.

مقدمة:

يحتل موضوع التربية الأسرية أو ما يسميه **Parsons** بالتنشئة الاجتماعية الأولية فضاء بحثيا أساسيا لدى كل المدارس الاجتماعية باختلاف اتجاهاتها، ومسلماتها النظرية، حيث أن الملاحظ بجلية حضور هذا المبحث الاجتماعي سواء في كلاسيكيات علم الاجتماع، أو تياراته النظرية الحديثة والمعاصرة كالوظيفية، البنائية، البنائية الوظيفية، النظرية النسوية، النظريات النقدية وغيرها.

وحق أنثروبولوجيا من خلال مباحثها الإنسانية تطرقت لهذا الموضوع كفرع من فروع أنثروبولوجيا العائلة والقربة، وذلك لما لعملية التربية الأسرية من أهمية في نقل الرموز الثقافية من جيل المربين إلى جيل الصغار أو الأبناء. وكما هو معلوم ومتفق عليه في الدراسات الإنسانية والاجتماعية، فإنه لا يمكن للفاعل الاجتماعي الاستغناء عن القيم، المعايير والرموز المكونة لثقافته أثناء مختلف تفاعلاته اليومية وإنتاجه

لأفعاله الأكثر بساطة واعتيادية، على اعتبار أن الفارق بين الإنسان والحيوان هو عملية المرور من الطبيعة إلى الثقافة على حد تعبير Claude Lévi-Strauss، والتي تتم عبر التنشئة الأسرية كأول مؤسسة مسؤولة عن ذلك.

تتأثر هذه العملية بالتحولات الحاصلة في المجتمع، وتنطبع بخصائصها، وبالتغيرات الطارئة أيضا على بنية الأسرة في حد ذاتها، وتقسيم الأدوار الوظيفية داخلها. إذ لا يمكن فهم الأسرة بكل ما يرتبط بها من بنيات، أدوار ووظائف بمعزل عن السياق الاجتماعي الكلي الذي تنتهي إليه، حيث تعتبر وحدة أساسية من وحداته المصغرة. كما أنها أول منتج للمعنى الاجتماعي الوجودي، وأول ناسج لخيط الرابطة الاجتماعية بين أفرادها، من خلال اللغة والثقافة اللتين تقوم بنقلهما إلى الأبناء حسب ما يرى عدي الهواري في أطروحته المتطرفة للعائلة والرابطة الاجتماعية في الجزائر المعاصرة. (Addi, L.1999).

وبمعاناة التحولات الراهنة، المتجلية في مؤشرات تتمظهر وتتجسد من خلال الواقع الاجتماعي اليومي للجزائريين، نجد أن المجتمع الجزائري يعرف مجموعة من التغيرات التي مست كل المستويات، سواء الاجتماعية، الاقتصادية، السياسية أو الثقافية، وفي مقدمتها تلك المرتبطة بالأسرة وعملية نقل القيم. مما أنتج درجة كبيرة من التعتيم والضبابية المؤديان إلى صعوبة تصنيف هذا المجتمع إن كان تقليديا، حداثيا أو ما بعد حداثي.

حيث أنّ الملاحظة المنهجية والمتخصصة له تنتج عنها مجموعة من المؤشرات المنتمية لسجلات ومدونات مختلفة. منها ما هو تقليدي كمكانة الأعراف والقبلية في تحديد العلاقات، إضافة إلى مكانة وأهمية الدين أيضا في ذلك. وما هو حداثي من مؤسسات مختلفة منطوية ضمن هذا النمط كالجامة وغيرها. وأخيرا ملاحظة ما ينتمي لسجل ما بعد الحداثة كالتأثير الكبير والمتزايد لوسائل الإعلام والاتصال، الثقافة الاستهلاكية، التنوع في المرجعيات... الخ. وهناك علاقة تأثيرية بين هذه المعطيات والعملية التربوية التي تتم داخل الأسرة، وبالأخص فيما يتعلق بتأثير وسائل الإعلام والاتصال الحديثة، ودورها في إعادة تشكيل المعارف والمعطيات بصفة عامة، وما ارتبط منها بالهوية الثقافية بصفة أدق. حيث أن هذه الوسائط قد أنتجت واقعا اجتماعيا يتداخل فيه المحلي التقليدي المتوارث جيلا عن جيل مع العالمي الكوني.

انطلاقا مما سبق يمكن طرح التساؤل الآتي: كيف تقوم الأسر الجزائرية اليوم بتنشئة أبنائها الأكبر سنا؟ وهل لا يزال الابن الأكبر يمتلك نفس المكانة التي كان يحتلها في السابق والمرتبطة بوظائف ومسؤوليات محددة في ظل التغيرات السوسولوجية التي يعرفها المجتمع في الواقع الراهن؟

بغرض الإجابة عن التساؤل المطروح، وانطلاقا مما هو ملاحظ وموجود في المجتمع نظرا لكون الأسر الجزائرية تعيش اليوم واقعا اجتماعيا متسما بالتعقيد والضبابية كغيره من المجتمعات المعاصرة كما سبق الإشارة إلى ذلك، تم اقتراح الفرضية الآتية:

- أدى التغير الحاصل في الأسرة الجزائرية إلى تغير وتمايز في كيفية التنشئة الأسرية للابن الأكبر عما كان سائدا سابقا في المجتمع الجزائري في إطار ما يسمى بالأسرة الممتدة.

2- الإطار المفاهيمي والمنهجي للدراسة:

تعتمد كل دراسة ميدانية على مجموعة من المفاهيم الأساسية التي يسعى الباحث لضبط معانيها، وبالأخص الإجرائية منها، وقد تمثلت مفاهيم هذا الموضوع المحورية فيما يلي:

- التغير في بنية الأسرة:

المقصود بهذا المفهوم: مجموعة التحولات التي مست بنية الأسرة الجزائرية بالدرجة الأولى، وتأثير هذا التغير على العلاقات والأدوار الوظيفية داخلها (الأسرة). إذ أن المعطيات المتوفرة في الدراسات المتخصصة في سوسولوجيا العائلة، إضافة إلى التجارب المعاشة من قبل الباحثين سابقا تتفق على أن الأسرة الجزائرية كانت أسرة ممتدة أو موسعة على حد تعبير بوتفنوشت "حيث تعيش في أحضانها عدة عائلات زواجية تحت سقف واحد، "الدار الكبرى" عند الحضر، و"الخيمة الكبرى" عند البدو" (Boutefnouchet, M) لتصبح في الوقت الراهن أكثر اتجاها نحو النموذج النووي، المكون فقط من الزوجين والأبناء الذين لم يتزوجوا.

- كيفية التنشئة الأسرية:

المقصود به في الموضوع طريقة نقل المعايير والقيم والرموز الثقافية إلى الابن الأكبر سنا، وماهية الوظائف المتوقعة منه، أو الأدوار الاجتماعية المنتظرة منه، والتي

يمكن القول أنها: "التوقعات المعروفة اجتماعيا التي يتوقع أن يحققها الفرد في أوضاع اجتماعية محددة" (غدنز، أ. 2005: 89) باعتباره أول مولود ذكر في العائلة.

شملت الدراسة الميدانية عشرة (10) أسر منتمة لفضاءين مختلفين حسب تصورات الفاعلين الاجتماعيين، يتمثلان في: الفضاء المديني الوهراني، باعتباره مجالا يلتقي فيه المحلي بالكوني العالمي، ويعرف بانفتاحه على كل الثقافات حسب مخيال الفاعلين الاجتماعيين. وبالتالي فهو أرض خصبة لتعدد المرجعيات بمختلف أنواعها، وتأثير ذلك على البنية الأسرية، العلاقات داخل الأسرة، والتنشئة الأسرية. إضافة إلى الفضاء العسكري، باعتباره مجالا لا زال يحافظ على القيم التقليدية الخاضعة لسلطة الدين والتقاليد حسب تمثلات من ينتمون لهذا الفضاء.

وقد تمثلت الخصائص السوسيو- مهنية للمبحوثين فيما يلي:

- الانتماء الجغرافي: خمس (05) أسر من مدينة وهران، وخمس (05) أسر من مدينة معسكر.

- المستوى التعليمي للوالدين: مستوى السنة الأولى ثانوي فما فوق.

- نوع الأسر: أربع (04) أسر يمكن القول أنها مركبة لكونها تضم كلا الجدين أو أحدهما، الزوجين، والأحفاد. أي أنها توفر تلاقي واتصال ثلاثة أجيال. إضافة إلى ست (06) أسر نووية تضم الزوجين، والأبناء غير المتزوجين.

- المولود الأول في كل هذه الأسر ذكر وليس أنثى، كون الموضوع يدور أساسا حول التنشئة الأسرية للابن الذكر الأكبر.

تمثلت أداة جمع المعطيات في المقابلة نصف الموجهة، المعتمدة على دليل يحدد محاور البحث الميداني، ويمكن من التطرق لمساءلة ومحاورة مؤشرات معينة ومحددة حول موضوع البحث. فالاعتماد على المنهج الكيفي في مثل هذه المباحث يقدم إمكانية فهم العلاقة بين المتغيرات المختلفة التي تشكل الظاهرة، والتعمق فيها بتجاوز ما هو وصفي وتفسيري إلى ما هو فهمي. بالإضافة إلى إمكانية إجراء المقارنة بين المعطيات المختلفة باستعمال المنهج المقارن.

3- التنشئة الاجتماعية للابن الأكبر في الأسرة الجزائرية التقليدية:

تعتبر عملية التربية أو التنشئة الأسرية الأولية من أهم العمليات التي تقوم بها الأسرة، والتي "يتعلم بها الأطفال المعايير الثقافية للمجتمع الذي يولدون وينشأون فيه. وحيث أن هذه العملية تجري خلال السنين الأولى من حياة الفرد، فإن العائلة

تمثل الساحة الرئيسية التي تتم فيها تنمية الشخصية البشرية. (غدنز، أ. 2005: 259) حسب ما أورد Parsons.

لكن ما لفت اهتمام الدارسين والباحثين، وبالأخص في الأنثروبولوجيا، هو الاختلاف الموجود في هذه العملية بين الابن الذكر الأكبر سنا في العائلة وبقيّة إخوته وأخواته الأصغر سنا منه. وهي ملاحظة متكررة في المجتمعات التقليدية القائمة على سلطة الأعراف، العادات، التقاليد والدين عامة، وفي المجتمعات المتوسطة والمغاربية بصفة خاصة، في مقدمتها المجتمع الجزائري. وتمت الإشارة إلى ذلك في العديد من الدراسات المتمحورة حول الثقافة الجزائرية، وتأثيرها على التفاعلات والعلاقات الاجتماعية في هذا الفضاء الجيو-ثقافي بدرجات متفاوتة. إذ نجد من الأنثروبولوجيين من أولى المسألة أهمية في تحليلاته، ومنهم من تعرض لها بالوصف الاثنوغرافي بطريقة عابرة، ومن بين الأسماء المتطرفة للموضوع: بيار بورديو، جاك بيرك، أوغسطين بيرك، وتتقدمهم في ذلك جيرمين تيليون.

إذ تورد جيرمين تيليون مثلا أن الابن أو الأخ الأكبر في المجتمع المغاربي "محترم تقريبا مثل الأب، حيث يجب غض البصر في حضوره وعدم التدخين أمامه، والانسحاب من كل اجتماع رجالي يحضره هذا الأخ الأكبر خوفا من سماع ما يندى له الجبين. في عدة عائلات مغاربية ينادي الأطفال أخاهم الأكبر "سيدي"، وعكسيا اعتاد الأخ الأكبر، وقبل أن يصير مراهقا، التبجح أمام إخوته وأخواته الصغار." (تيليون، ج. 2000: 112).

من خلال هذا الاستشهاد نلاحظ مكانة الابن الذكر الأكبر في المجتمع الجزائري، وفي المخيال العام للفاعلين الاجتماعيين فيه، وهو ما صرح به العديد من المبحوثين من الأولياء، الذين تلقوا تنشئة أسرية معتمدة على نفس النمط التربوي. والذين يرون أن المكانة الأساسية والمسؤوليات الكبرى في الأسرة الجزائرية التقليدية تعود للابن الأكبر مباشرة بعد الأب، بينما يعتبر الابن الأصغر موضعا لدلال وعناية كل أفراد العائلة، وفي مقابل ذلك لا مكانة تذكر بالنسبة للأبناء الذي ينتمون للوسط بين الأكبر والأصغر.

ومن خلال المعطيات الميدانية هناك مبحثين منتمين للفضاء المديني العسكري يدعمون صحة مناداة الأخ الأكبر سابقا في الأسرة الجزائرية التقليدية بـ"سيدي"، وهي كلمة لها دلالات عميقة في الثقافة الجزائرية، إذ ترتبط دائما بأفراد

لهم السلطة، المعرفة، الحكمة والمسؤولية. والتي يقابلها في المجتمع الفرنسي التقليدي حسب ما تذكر جيرمين تيليون على سبيل المقارنة مناداة الابن الأكبر فقط باسم العائلة، بينما يستعمل الاسم الشخصي في التخاطب مع بقية إخوته الأصغر سنا منه، أو مخاطبة الأكبر سنا بـ "أنتم" في حين تنزع الكلفة دفعة واحدة عن جميع الأبناء الآخرين.

وبما أن الابن الأكبر يحتل هذه المكانة المرموقة في الأسر التقليدية، بات من الضرورة تربيته بطريقة متماشية مع الأدوار المتوقعة منه كون هذا الصبي "موجه لمسؤوليات كبيرة، لأنه هو الذي سيكون له شرف وواجب تسيير الميراث المشترك كله." (تيليون، ج. 2000: 112) إضافة إلى حماية الشرف المشترك والنسوي للعائلة.

ومن هنا فإن جميع أفراد الأسرة البطريركية يعاملونه منذ صغره على أساس أنه شخص بالغ، ويفصل في سن أبكر من إخوته عن الفضاء النسوي، وعن والدته بصفة خاصة، ليلتحق بالفضاء الرجالي خارج المنزل. وبهذا يتم تعليمه كل ما يرتبط بالنبال والرجولة على أساس أنها "مناطق الشرف (nif). بمعنى مجموعة استعدادات معتبرة على أنها نبيلة (شجاعة جسدية وأخلاقية، كرم، شهامة... إلخ)، هي نتاج عمل اجتماعي من التسمية والتلقين نصبت في منتهىها هوية اجتماعية في طبيعة بيولوجية، بواسطة واحدة من "خطوط التماس الغيبية" المعروفة والمعترف بها من الجميع والتي يرسمها العالم الاجتماعي، وتصبح هابتوسا، بمعنى قانونا اجتماعيا مستدمجا." (بورديو، ب. 2009: 83)

كما يتم تلقين الابن الأكبر وفي سن صغير لا يتجاوز السبع سنوات كل المخاطر التي يمكن أن تحيط بشرف العائلة، سواء كان هذا الشرف مرتبطا بما هو نسوي أنثوي (مجموع الإناث المنتميات للعائلة: أم، أخوات، عمات، بنات عم...) وبالأخص الإناث اللواتي لم يتزوجن بعد، كون "بكارا الفتيات في البحر الأبيض المتوسط كله، شمالا وجنوبا، مسألة هم أولا -وبشكل غريب- إخوتهن، وهم الأخ الأكبر أكثر من الإخوة الآخرين." (تيليون، ج. 2000: 116). أو أنه مرتبط بالشرف المشترك للعائلة والقبيلة، المتحور أساسا حول الحفاظ على الطقوس الاحتفالية المقامة تكريما للجد الأكبر المؤسس للقبيلة، والذي تنحدر منه الأسرة البطريركية التقليدية. والإبقاء على رمزيته ومكانته في المخيال العام المشترك لدى أفراد الأسرة بصفة خاصة، والمنتمين للقبيلة بصفة عامة، لأن هذه المسائل تعتبر من مدلولات الرجولة والنبال في

المجتمع الجزائري، وأي مساس بها يوجب ضرورة الثأر التي يتولاها الابن الأكبر لتطهير شرفه، إذ أن "الرجولة المتفق على أنها قدرة معيدة للإنتاج، جنسية واجتماعية، لكن أيضا على أنها قابلية للصراع وممارسة العنف (في الثأر تحديدا) هي قبل كل شيء تكليف" ((بورديو، ب. 2009: 83-84) يتم تلقيه للابن الأكبر بصفة خاصة.

وبالتالي فالذكر الأكبر يتلقى تنشئة اجتماعية أسرية تختلف عن إخوته الأصغر سنا، والموصوفين بكونهم غير معنيين بواجباته ومسؤولياته اتجاه عائلته. هذه الأخيرة التي تكون أكثر صرامة في تربية الابن الأكبر دون إخوته. وبما أنها تلقنه كل مبادئ الرجولة والنبالة، وتلحقه بجيل الراشدين منذ صغر سنه، فمن المنتظر منه أن يتولى مهامه ووظائفه داخل الأسرة البطيركية، وأن يمثلها أفضل تمثيل في الفضاء العام، ويحافظ على شرفها وممتلكاتها، إضافة إلى ضمانه لاستمرارية نوعية من الروابط الاجتماعية المتماسكة بين أفراد عائلته.

وهو ما عبر عنه غالبية المبحوثين المكونين للأسر المستجوبة (08 من أصل 10 أسر)، حيث يذكرون أن إخوتهم الأكبر سنا كانوا لهم بمثابة الآباء، سواء من الناحية العاطفية، باعتبارهم رمزا للمحبة والاحترام، أو من ناحية المسؤولية والتضحيات، بالأخص في وضعية غياب الأب نتيجة للوفاة أو الطلاق. إذ يتحول هذا الابن الأكبر من أخ لهم إلى أب، وهم يتفوقون على أن الاحترام والمحبة هما أقل ما يقدمه الإخوة والأخوات الأصغر سنا كمقابل لتضحياته.

لكن في مقابل هذه التوقعات، هناك من الإخوة الأكبر من يتعامل ببراغمانية، إذ يستغل مكانته، وأهميته الكبيرة داخل العائلة الممتدة للاستبداد والتملك، والتفرد بالممتلكات الجماعية للأسرة ومداخلها، وهنا يتحول من مكانة الاحترام القريبة من الأبوية حسب ما لاحظته جيرمين تيليون من خلال أمثال شعبية متداولة في الفضاء التلمساني إلى التعبير عن الاستبداد والظلم "الحقرة" أين يتم تشبيه الأخ الأكبر سرا بالخنزير، لكن هذا التشبيه لا يذكر إلا في اللحظات الحميمية، وليس علنا. وهو ما دعمته استشهادات موجودة في أسرتين من عينة البحث، إذ يذكر المبحوثون أن التربية الاستعلانية التي قدمت للابن الأكبر في الأسرة، والتربية الخضوعية التي لقت للإخوة الأصغر سنا، مكنت الذكر الأكبر من ظلم إخوته خاصة بعد وفاة الوالد. حيث لم يتحول الأكبر سنا في هذه الحالة إلى مكانة الأبوية، بل إلى مستبد داخل العائلة، سواء تعلق الأمر بالإرث والممتلكات الجماعية، أو بالسلطة واتخاذ قرار مصيرية خاصة بأفراد

العائلة في غير محلها. ولكنها تبقى حالات نادرة مقارنة مع الحب والاحترام والأبوية المقدمة من طرف الابن الأكبر، والتي تمنحه شرعية الوصول إلى مكانته المرموقة حسب تمثيلات الفاعلين الاجتماعيين.

4- السياق المعاصر والتنشئة الأسرية للابن الأكبر:

يؤكد المبحوثون المكونون لعينة البحث أن التغيرات الاجتماعية الحاصلة في المجتمع الجزائري بصفة عامة، والأسر الجزائرية التي تحولت إلى النمط البنائي النووي بصفة أخص قد أثرت على عملية التربية سواء من ناحية دلالتها الشمولية، أو تربية الابن الأكبر بتعبير جزئي. حيث أن منهم من يؤكدون في تصريحاتهم على ضرورة المساواة في التربية بين جميع الذكور، والتي تختلف عن تربية الإناث، وهنا نلاحظ تواسلا للتفرقة والتوقعات الجندرية المبنية على أساس الجنس.

وفي مقابل ذلك نجد من المبحوثين من يصرون على عدم التفرقة، والمساواة في التربية بين جميع الصغار سواء كانوا إناثا أو ذكورا. كما يركزون على أن من يتولى التربية والتنشئة الأسرية في الوقت الراهن هو الأب والأم فقط دون سواهما من باقي الأفراد المنتمين للنظام القرابي من أعمام وعمات، أو أجداد أو غير ذلك. وأن أي تدخل من خارج الأسرة حتى لو كان من فرد ينتمي للمنظومة القرابية من الدرجة الأولى، يمكن أن يؤدي إلى حالة من التخاصم والصراع بين هذا المتدخل ووالدي الطفل. هذان الأخيران يقومان بنقل المعارف والثقافة للأبناء بناء على تصورهما للوجود الاجتماعي، مستواهما التعليمي وتخصصهما المعرفي، نمط عيشهما، إضافة إلى توقعاتهما المستقبلية من الصغار. وانطلاقا من ذلك فهما يسعيان لترسيخ معايير وقيم يتفهم من خلالها الأبناء "أدوارهم الاجتماعية ويتولونها من خلال عملية مستمرة من التفاعل الاجتماعي" (غدنز، أ. 2005: 89) سواء داخل الفضاء الأسري، أو خارجه في إطار مؤسسات التنشئة الاجتماعية الأخرى. وهذا ما يخالف كفايات التربية في الأسر التقليدية سابقا، حيث أن عملية التنشئة الاجتماعية للطفل كانت تخضع للمعايير والقيم المشتركة والمتفق عليها في النظام الاجتماعي، وبالتالي فجميع الراشدين الموجودين في محيط وعائلة الطفل مسؤولين عن تربيته.

والملاحظ ميدانيا أن الطفل الأول وبخاصة إذا كان ذكرا يحظى بالدلال المفرط من طرف الوالدين، وليس بالتربية الصارمة التي كان يتلقاها الابن الأكبر سابقا في الأسرة التقليدية كما تم الإشارة إلى ذلك. وهذه التربية المتسامحة موجودة بصفة

أكثر حسب تمثيلات المبحوثين في الأسر التي طالت فترة الزواج فيها بدون إنجاب، وعلى خلاف ما كان معمولاً به في السابق، فإن الابن الأكبر حالياً لا يفصل عن الفضاء النسوي ووالدته إلا مؤقتاً (في حالة عمل الأم أو الالتحاق بالمدرسة) حسب تصريحات المبحوثين.

وقد أجمع أفراد العينة على أن إمكانية الوقوع في أخطاء تربوية أثناء التنشئة الأسرية للابن البكر تكون أكبر، وبناء على أفعاله فهم يتداركون أخطاءهم التربوية مع إخوته الأصغر سناً منه مستقبلاً، مما يجعل منه إمكاناً للتجريب أكثر من غيره. وهذا ما يخالف وبدرجة ملحوظة ما كان سائداً ومعمولاً به في السابق، حيث أن مجال الخطأ في تربية الابن الأكبر كان أقل، كونه يتلقى تنشئة متركزة على الوظائف والأدوار المنتظرة منه، وأي خطأ قد يعرض شرف العائلة ومكانتها في الفضاء العام ومصالحها للتهديد والخطر.

وعلى خلاف من الأسرة الممتدة التقليدية التي كانت مبنية على أسس التضامن وعلى ما هو اجتماعي، فإن الأسر المعاصرة تتجه أكثر نحو الفردانية مقارنة مع سابقتها، وبهذا فإن الابن الأكبر لا يتلقى تربية تمكنه من تحمل مسؤولية إخوته مستقبلاً وبخاصة في مسألة الإرث المشترك، بل يتم تعليمه تحمل مسؤولية نفسه وأفعاله، وكيفية اندماجه في مجتمع انتقالي تتداخل فيه المعايير، وتتدافع فيه السجلات المختلفة. وبهذا لم تصبح مسألة الاحترام والمسؤولية والمكانة حكراً على الابن الأكبر فقط، بل مرتبطة بجميع الأبناء دون استثناء، كل من موقعه. وحتى في حالة الأسر التي يتواجد بها الأجداد، فإن وظيفتهم تقتصر على النصيحة والإرشاد غير الملزم في عملية التربية، وليس مكانتهم في التنشئة الاجتماعية فعالة وملزمة كما في السابق. ومنه فإن التغير الذي أصاب بنية العائلة الجزائرية والمجتمع بصفة عامة أدى إلى تغير في كيفية تربية الابن الأكبر وإخوته الأصغر سناً منه على خلاف ما كان معمولاً به سابقاً في الأسر الممتدة.

5- خاتمة:

في الأخير واعتماداً على ما سبق، يمكن القول أن التغيرات الحاصلة في بنية العائلة الجزائرية من ممتدة إلى تقليدية، ودرجة الضباية والتعقيم المحيطة بمسألة القيم في المجتمع الجزائري، واتجاه هذا الأخير نحو قيم الاستهلاك والفردانية قد أدت إلى تغيرات يمكن أن توصف بالجزرية في التربية والتنشئة الأسرية. والمرتبطة بتلقين

الأبناء ثقافة محلية متداخلة بما هو كوني عالمي، بتأثير من وسائل الإعلام والاتصال الحديثة التي تلعب دورا أساسيا في تغيير القيم والمعايير والمبادئ التي على أساسها يحقق الأبناء الاندماج في المجتمع الذي ينتمون إليه.

وتفرض هذه التحولات في كيفية تربية الأبناء الأكبر سنا ضرورة البحث المعمق في المسألة، بالأخص لكون مكانتهم في المخيال التقليدي الجزائري أساسية في الحفاظ على ثوابت المجتمع، الروابط الاجتماعية المتماسكة داخل الأسر، وشرف العائلة بدرجة مباشرة، سواء كان مرتبطا بالشرف النسوي، أو بالشرف المشترك للعائلة من خلال إحياء ذكرى الجد المؤسس، ومكانته في الإرث الرمزي لها.

- المراجع:

(01) : Addi, L(1999) . Les mutations de la société algérienne- Famille et lien social dans l'Algérie contemporaine, Paris: La découverte.

(02) : Boutefnouchet, M. La famille algérienne- Evolution et caractéristiques modernes, Alger: O.P.U

(03): غدنز، أنتوني (2005) علم الاجتماع، ت: فايز الصياغ، ط 01، لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية.

(04): تيليون، جرمين (2000) الحريم وأبناء العم: تاريخ النساء في مجتمعات المتوسط، ت: عز الدين الخطابي وإدريس كثير، ط 01، بيروت: دار الساقى.

(05): بورديو، بيار (2009) الهيمنة الذكورية، ت: سليمان قعفراني، ط 01، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.